عاطفة الحب عند شواعر كربلاء المعاصرات (من 2000-2023)

الطالبة سميرة محمد حيدر أحمد
Samira.m+h@s.uokerbala.edu.iq
أ.د رفل حسن طه الطائي
Rafal.h@uokerbala.edu.iq

الخلاصة :

يُسلِّطُ هذا البحثُ الذي عنوانه(الحب عند شوعر كربلاء) الضّوءَ على قصائد الحُبِّ لدى شواعر كربلاء ، وتوجّهاتِ تلك القصائد من خلالِ إبراز عددٍ من النصوصِ الشّعريّةِ التي كتبتها شواعر كربلاء تتناول الحُب سواء حُبّها للرّجل وعلاقتها به ، أو حُبِّ الأهل ، التي امتازت بها نصوصها بالعاطفةِ الصادقةِ والكلماتِ الرّقيقةِ ، وكان المنهج المستخدَم في هذا البحث هو المنهج الوصفي التّحليلي .

الكلمات المفتاحيّة : أدب المرأة في كربلاء ، شعر الحب ، حبّ الرّجل ، حبّ الأهل .

Abstract

This research، entitled (Love in the Poetry of Karbala)، sheds on the love poems of Karbala poets، and the orientations of those poems by highlighting a number of poetic texts written by Karbala poets that deal with love، whether it is her love for a man and her relationship with him، or the love of her family، whose texts were distinguished by sincere emotion and tender words. The Karbala method used in this research was the descriptive analytical method.

Keywords: Women's literature in Karbala، love poetry، man's love، family love.

المقدّمة :

بسم الله خيرُ ما يبدأ به الكلام ، والحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسّلام على أشرف الخلق محمد(صلى الله عليه وآله وسلّم) ، أتقدّمُ بهذا البحث الموسوم ب(الحُبِّ عند شواعر كربلاء)وهو بحثٌ مستلٌّ مِن رسالتي الموسومة ب(الأدب النّسوي في كربلاء من 1958إلى 2023 دراسة في موضوعاتهِ وخصائصهِ النفية) ، سُلِطُ

الضّوء فيه على عددٍ من شواعر كربلاء كتبن للحُب بِأعذبِ الألفاظ وأرقّ المشاعر ، واشتمل البحثُ على توطئة ، ثم قسّمت الدّراسةِ على محورين ، المحور الأوّل : عاطِفتُها تجاه الرجل ، المحور الثاني : عاطِفتُها تجاه الأهل ، ثم بعدها الخاتمة ، ونتائج البحث ، وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع التي أسندتِ البحث .

مدخل :

إنَّ المرأةَ في كربلاء لم تكُن يوماً من الأيّام بعيدة ولا مُغيّبة عن كلِّ ما يدورُ حولها في مختلفِ المجالاتِ، وكل نواحي المجتمع إلاّ إنّ((بين المرأة والتّاريخ ودٌّ مفقود))[1] ولا يمكن لأيٍّ منّا أنْ ينكرَ دورَها في الحياة بأيِّ وقتٍ مِن الأوقات ، فهي صاحبةُ ذلك الحسُّ المرهف الّذي يجيز لها أنْ تُبدِع بكلِّ المجالات أدبيّة أو غيرها ، ولها من الصّبر الّذي لا يرضى لها الهزيمة أو التّراجع بما تَقْدِم عليه .

وما دمنا بصدد الدّراسة الموضوعيّة لشعر (شواعر كربلاء)، علينا أنْ لا نبخسَ حقّهن في هذا الجانب على الرّغمِ من قلّة ما تمكّنا الحصولُ عليهِ قياساً بتاريخِ المحافظةِ، وما تمتّعت به منذُ زمنٍ طويلٍ بإرثٍ أدبي وحاضنةٍ خَصِبةٍ لإنباتِ الأُدباءِ والأدبيات، إلاّ إنَّ الواقع الاجتماعي للمرأة هنا، والذي لم يُحرّرها لإطلاق صوتها إلاّ من مدّةٍ ليستْ ببعيدة ، لذا يُقالُ دائما بأنَّ المرأةَ في مجتمعنا ولمدّةٍ ليست بقصيرة كانَتْ كالجندي المجهول ، إلّا انها مُؤخّراً بدأت تجلي عن وجهها غُبار السّنين، فقد استطاعتْ أنْ تكتبَ في موضوعاتٍ شعريّةٍ عديدة مستقاة من واقعها معبّرةً بصدقٍ عن حياتِها ،وبمختلف المجالات أضافتْ عليها من جمالِ إحساسِها ، وإنْ كانت بالرّغم إنَّ البعض منهن لم تقرضْ الشعرَ عن دراسةٍ ، بل عن موهبة فكانتْ مَلَكَةُ الشّعرِ تقوى تارة وتضعفُ تارة أخرى.

فقد كتبتْ الشّاعرةُ في كربلاء عن حُبِّ الوطن، وذكرتْ الشُّهداء برثاءٍ صادقٍ من القلب، وكتبتْ أيضاً عنْ حُبِّ الأهلِ والأبناء ، ولم تنسَ الشّاعرةُ أنْ تكتُبَ مُعبّرةً عن مشاعِرها وحبّها تجاه الرّجل، وكتبتْ كذلك في رثاءِ الأئمةِ رثاءً صادقاً، وكتبتْ في الغربة أيضاً معبّرةً عن مشاعرها بأصدق المعاني ، هذا يعني أنّها استطاعتْ أنْ تكتبَ بكلِّ الموضوعات الّتي تُلامِسُ حياتها، مع الفارق في المَلَكةِ الشّعريّة لِكلِّ شاعرة ، وطبيعة البيئة الاجتماعيّة لها .

إنَّ الأدبَ بصورةٍ عامّةٍ في كُلِّ العصورِ مُرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالمُجتمع ، ولأنَّ الشّاعِرَ ابن بيئتهِ ومُجتمعهِ فلا شكَّ أنْ يكونَ مؤثّراً ومُتأثّراً بِها ، وذلك مِنْ خلالِ معالجتهِ للموضوعاتِ الّتي تخُصُّ الجانب الاجتماعي .((فالأدب الاجتماعي : هو المَعني بقضايا النّاس والسّاعي إلى التّغلّب على ما يعترِضهم مِنْ عقباتِ لانتظام شُؤونهم، وتطوّر علائقهم المُتبادلة الماديّة والرّوحيّة تطويراً متناغماً، ويستوحي هذا الأدب مواقفهُ عادة من انتماءٍ فلسفي سياسي أو من مبادئ أخلاقيّة دينيّة))[2]

فالشّاعرةُ من خلال موضوعاتِها الاجتماعيّة تعكسُ الواقعَ الاجتماعي الذي تنتمي اليهِ من حيث طبيعةِ الحياة الاجتماعيّة، والعادات السّائدة فيها، وقد لمسنا أنَّ الشّاعرةَ تُظهِرُ ملامحَ المجتمع الذي كانتْ تنتمي اليهِ حتّى لو أصبحَتْ بعيدةً عنهُ، وهذا ناتج عن الطّبع في النفس.

فالشّعرُ ما هو إلّا صورةٌ للعصر و((الأدبُ مرآةُ الأديبِ وإنّ حياةَ الشّاعرِ وسيرتهِ يفسّرانِ كثيراً مما جاءَ في شعره))[3]

وعليه فإنَّ لكُلِّ شاعرةٍ من شواعرِ كربلاء واقعاً اجتماعيّاً خاصّاً، وهو يقع ضمن الواقع الاجتماعي العام ، لأنَّ البيتَ الّذي تخرجُ مِنهُ هذه الشّاعرةُ يكونُ مؤثِّراً جدّاً في طبيعةِ النّصِّ الشّعري ، ((فالبيتُ هو رُكنُنا في العالم... كونُنا الأوّل، كونٌ حقيقيٌّ بِكُلِّ ما للكلمة من معنى، فإنَّ ساكنَ البيتِ يُضفي عليه حدوداً، أنّهُ تعيش البيتِ بِكُلِّ واقعيّتِها وحقيقتِها خلال الأفكارِ والأحلامِ))[4] وهذا يُؤثِّرُ تأثيراً مُباشِراً على نتاج إحداهُن، وقد حاولت الشّاعرةُ في كربلاء إبرازَ شخصيّتها عُبر نصوصِها الأدبيّة،

المحور الأوّل :ّعاطفتُها تجاه الرّجل

إنَّ المرأةَ بصورةٍ عامّةٍ كائنٌ حسّاسٌ تتعاملُ بِأحاسيسِها وقلبِها أكثرُ مما تتعاملُ بِعقلِها ، وإنَّ أكثرَ ما يثيرُ غَضبَها ويحزنها هو الإهمالُ وعدم الاكتراثِ ، فهي تبحثُ دائِماً عن كلماتِ الحُبِّ والإطراءِ ، فهذا أكثرُ ما تحتاجهُ المرأةُ سواء على صعيد العَلاقاتِ العاطفيّة وحتّى في المواقفِ الصّعبةِ والأُمورِ الحياتيّةِ الّتي تمُرُّ بِها ، ووجدْنا هذا النفسَ موجوداً في شكوى من جفاءِ الرّجُلِ في نُصوصِ شواعر كربلاء ، ففي نصٍّ للشّاعرةِ(سليمة سلطان) تحت عنوان (تساؤل) تقول فيه:[5]

يا ويلي

من نحنُ؟!

وما تبتغيني أنت

وأنا ما أبتغي

من نحنُ؟!

رجلٌ حانقٌ* وقارورةٌ

اكسرها لو شِئْتَ

امرأة تُسمّيها بلد

وتُسمّيك الطمأنينة

في هذا النّصِّ تستغيثُ الشّاعرةُ، وتصرخُ بِقولِها (يا ويلي) ، ثمَّ تطلقُ تساؤلها (من نحن) فهي لا تعرفهُ ولا تعرف ما يُريد ، وهو أيضاً كما وصفته كثيرُ الغضبِ ، وهي رقيقةٌ عبّرتْ عن نفسِها ب(قارورة) كما وصفها النّبيُّ محمدٍ (صلى الله عليه واله وسلم) ، فهي لا تريدُ سِوى أنْ تشعرَ بالأمان معه تريده طمأنينة، إلاّ إنّها فاقدةٌ لهذه الطّمأنينةُ وكما تقول:[6]

وظلُّ رجالِ الشّرقِ أسود

وعلى أثرِ ذلك ، عادت تحاورهُ وكأنّها تريدُ إخبارهُ بقرارٍ لا رجعةَ فيه فتقول في نص عنوانه (عادة)[7]

سأُغيّرُ كُلَّ عاداتي

الّتي من أجلِك غيّرتُها

لن ألبسَ ثوبي الأبيضَ الّذي تُحِب،

ولن أصْمُتَ كما ترغب،

وسأكونُ حزينةً حدَّ الصّمتِ

وسألبسُ لونَ الحُزنِ الأبيض

وسأُغيرُ كلَّ عاداتي

فالشّاعرةُ قد اتّخذتْ قراراً بأنَّها لن تبقى تحت طوعهِ في قولِها : (سأُغيّرُ، سأكونُ، سألبسُ) دلالةٌ على أنها في الوقتِ القريبِ ستتّخِذُ قرارها برفضِ كل ما يعجبهُ ، بأُنثى تُطيع ولا تتكلمُ ، فهي وفيّةٌ له لأنَّها لا تسمحُ أنْ يمسّها غيره ، ولا تعرف للتّضحيةِ حدود، ولكن هذا لا ينبيء عن ضعفها ، وإنّما أنوثتها الرّقيقة تحملها على الطّاعةِ والتّضحية معاً ، فقد عكستْ الصّورةَ النّمطيّةَ بأنَّ لونَ الحزنِ الأسودِ ، في إشارةٍ منها إلى ثوبِ العُرسِ الأبيضِ ، الّذي عَدّتهُ لونُ الحُزنِ حينما لا يكونُ عن رِضاها وقناعتِها . فتقول في نص آخرٍ لها بعنوانِ (زُجاج)[8]

لم تحمل إلّا

بصماتَك وحدَك

أوراقي

أبيضُها، أسودُها، أزرقُها

أحدُ سِواكَ لم يقتحمها

وكانت كُلّها أنت

ألقي الآن بها للبحرِ

وأنهضُ

فهذا الوفاءُ منها لم يكُنْ لهُ بالمثلِ من المُقابلِ وهي توسمُ الحُزنَ بالبياضِ ، لذا قرّرت الابتعاد فتقول : [9]

أتركُ خلفي

باقةَ حُزنٍ أبيض

وأعودُ الى نفسي

نجدها تعودُ وتُكرّر بعكس دلالةِ اللون الأبيض لتستخدمه للحزن .

فهذا ما تميّزتْ به قصائدُ الحُبِّ للشّاعرة (سليمة سلطان) ففي نصّ قصيدة بعنوان(مصادفة) تقول فيها :[10]

مثلُ أمنيةٍ لا تخطرُ على القلبِ

تنبثِقُ من حِكاياتِ الجدّاتِ

نبوءة عذابٍ مشتهاة

فاكهةٌ مُرّةٌ مُحرّمةٌ

غيرَ أنّها لذيذة

أنْ تلقاني

صُدفة

قد شكّلَ الحُبُّ وعلاقة الشاعرة بالرّجلِ هاجساً مُلازماً لها ، حتّى أخذتْ تصوّره بالأمنية التي يصعبُ الحُصولِ عليها ، فقد جعلتهُ من ضمن حكايات الجدّات ، وهي تعلمُ أنَّ هذا الحب لا تجني منه إلاّ المرارةَ ، لكنها تستلذُّ بها ، وتتمنّى أنْ تلتقي به صُدفةً ،وهذه إشارة منها بأنها لا تتمكن أن تُخطط لهذا اللقاء أو تتهيء له .

وعلى العكس مِنْ تلكَ الرُّؤيةِ لِلحُبِّ نَجِدُ الشّاعرةَ (خديجة السّعدي)، إذ لا تفقدُ الأملَ بِحُبِّها، لأنَّ الحُبَّ عندها إحساسٌ فتح لها أبوابَ الأملِ، وجعلها تخرجُ عن صمتِها، فهي الّتي ستعزف الحان الحب ،فتقولُ في قصيدةٍ عُنوانها (آمال) : [11]

لا أفقدُ الأملَ

لأنّك أملي

سأفتحُ كلَّ الأبوابِ الموصدة

وأولُها بابُ صمتي

سأعزِفُ لك قيثارةِ قلبي

تظهر الشّاعرةُ وهي كُلُّها أملٌ بلقاء المحبوب ، وإنّها ستخرُجُ عن صمتِها لِتُعبِّرَ عن مدى اشتياقِها وحبِّها، فهي متفائلةٌ تنظرُ للحياةِ وهي تتوقُ للأجملِ من الأيام ،لِتتكلّم له عنْ حُبِّهاُ بقولها ، وأنَّها لن تتركَ بينها وبينه حاجزاً وتفتح كما عبّرتْ عنه ستفتح كُلّ الأبواب عندما تقول(وأولُها باب صمتي) ،فالكلامُ بين المُحبّين يجعلهُ أقوى والصّمت يقتلُ الحُب

فهي محبّةٌ للحياة ،تُؤمنُ بأنَّ الحُبَّ يوصلُ الإنسانَ إلى أعلى مراتبِ الفضيلةِ في قولها في نصٍّ تحت عُنوان(لقاء وأيمان) تقول فيه : [12]

مَنْ زرعَ الحُبَّ

جنى عالماً من الأرواحِ

والجمال الأبدي

ومَنْ يُؤمِنُ بهِ

هو المُؤمنُ الحقيقي

نجد الشّاعرةَ في كلماتِها عن الحُب تبدو مُحلِّقةً معهُ، ويخلقُ مِنها إنساناً مُتّزِناً ، وهذا غالباً يعودُ إلى طبيعةِ المُجتمعِ الّذي تعيشُ فيهِ، فهي شاعرةٌ مُغترِبةٌ (في فرنسا)، فلا تجدُ نفسَها مُقيّدةً تحتَ طائِلةِ التّقاليدِ والأعرافِ، ولا نجِدُ لها نصّاً تشتكي فيه هجرَ الحبيبِ تقول في قصيدةِ (صمت الحواس)[13]

لي حبيبٌ

كُلّما حدّثته يضيعُ نصفُ كلامي

وحين التقيهِ

تصمُتُ كُلَّ حواسي

وحينَ أُفكِّرُ فيهِ

تتسارعُ دقّاتُ قلبي

ولا أعرِفُ ماذا أُريد

هكذا هي (خديجة السّعدي) ، تتحدّثُ عن الحبيبِ بأرقِّ الكلماتِ فتقولُ (حدّثتهُ، التقيهِ، أُفكِّرُ فيه،) وهذا معناه أنَّه حاضرٌ معها في كُلِّ وقت ((فالإنسانُ محكومٌ بغريزتين أوليتين: بقاءُ الذّاتِ وتوالِدُ الذّات، الأولى تتحقّقُ حينَ تشبعُ حاجتهِ لِلطعامِ والماءِ والمأوى والنوم، والأُخرى تتحقّقُ بإشباعِ حاجتهِ للتّزاوجِ والحُبِّ)) .[14]

فالحبِّ هو غِذاء الرّوح ، ولا نجدُ شاعراً لا يبتغي الحُبَّ والعشق ، فالمُخيّلةُ حاضرةٌ خصِبةٌ في ذهنِهِ ،ونجده لدى معظم شواعِرُنا مُحاطةً بهالةٍ من الحياء والتّردّد إذ ((هي ترغبُ وتخشى في آنٍ واحدٍ ، كأنَّ هُناكَ غريزةً مُضادّةً لغريزةِ الجنس)) [15]

وفي قول للشّاعرةِ (هديل الدُّليمي) في قصيدتها (كأن الهلال بوجهي استهل) تقول : [16]

أراكَ فيبهتْ كُلُّ الوجود [المتقارب]

كأنَّ الهِلالِ بوجهي استهل

فأقرأُ فيكَ حكايا الرّبيع

ليهربَ عنّي خريفُ العِلل

ويسرقُ فكري شعورٌ نضير

كبستانِ وردٍ بهيٍّ خضِل

إنَّ العاشقَ دوماً عندما يكون مع محبوبهِ يشعرُ كأنّ الحياة أصبح لها معنى وطعم في لحظات اللّقاء، فوجهُ المحبوبِ عندما تراهُ الشّاعرةُ حسب وصفها يصبح وجهها كأن الهلال عند أوّل الشّهر عندما يبدأ يبددُ عتمة السّماء ، ويذهب عنها جفاف الخريف وتزهر روحها وحياتِها، فهي كُلّما تراهُ يتجدّدُ عندها الحب ،وتصبحُ الحياةُ تشبه(بستان) مليء بالورود لفرحةِ لقائهِ

ولها في نص آخر تصفُ جمرة العشق بقصيدةٍ تحت عنوان (نوايا البخت) تقول: [17]

يسيلُ الهمُّ من آفاقِ نفسي [الوافر]

فيشرب قهوه الإصغاء مُرّة

يحدِّثُني فينصتُ صوتُ صمتي

وتورقُ في قِفارِ التوق جمرة

وكنتُ أقولُ لي ماذا دهاني

ففتحُ العِشقِ هذا محضُ حفرة

إنَّ اندماجَ الطّرفينِ المتحابّينِ هو أساسُ أيِّ علاقة حُب ، وهذا يتحتّم على الطّرفين إبداءُ الحُبِّ الاشتياق، والحُبّ للطرفِ الآخر لكي تكون الكفّة مُتوازية بين الاثنين، وبما إنَّ طبيعة المرأة في مجتمعاتنا العربيّة تخجلُ من التّصريحِ بكلماتِ الحُبِّ بوجهِ الحبيب ، فأسمى طريقة لها للتّعبيرِ عن وجدها واشتياقها أنْ تكتبَ لهُ عباراتُ الحُبِّ ، مثلُ الأبيات الّتي ذكرناها، فهي تصِفُ حبها وعشقها مِمّا أشعرها بِأنّها أصبحتْ في(حفرة) العشق ولا يمكنها الخلاص منه وفي ذلك إشارةٌ منها بالتّعثّر والورطة، وتلهجُ مُصرّحةً بحبّهِ في قصيدةِ (أُحِبُك) حيث تقول: [18]

[المتقارب]

أُحِبُك يا الغالي المكرر

وأحسبُ علقمَ بُعدَك سُكّر

وما ردَّ نأيك وحشٌ بهيم

يراوغُ ظنّي بقربٍ مُزوّر

أراك سراباً نظيراً فأدنوا

ويدنو التّوّهم مِنّي فأعثر

إذا كان حسُّ الغرامِ حياةٌ

فجرح الفُراقِ بسبعينَ خنجر

تصِفُ الشّاعرةُ ألمَ الفراق ، فهي لم تحتمل ذلك الألم ، فأخذتْ تُصرِّحُ بِحُبِّها وَشوقِها ، وأنّها تُؤمِّلُ نفسها باللّقاءِ فهي تَظنُّ كما تقول (علقم بعدك سكر)، إذ تتوسلُ خيالَهُ وهذا ديدنُ العُشّاقِ والمُحبّين، فالعاشقُ لا يرضى إلّا أنْ يكون محبوبهُ قريباً ليشعره بدفءِ عواطفهِ ، والمُحِبُّ لا يحتملُ اللّومَ على شكواه مِن المحبوب ، حيث لا حياةَ بلا عشقٍ ، فهي ترى بانَّ العشق هو الحياة ، وألمُ فِراق المحبوب كأنّهُ ضربات خنجرٍ في الجّسد .

تلك المشاعرُ وذلك الحُب لمسناهُ عندَ الشّاعرة (أمل الخفاجي) ، فهي لم تتمالك نفسَها، وأخذتْ تعطي العُذرَ في بثِّ حُبها وشكواها للمحبوب فتقول في قصيده (قلمي) : [19]

سأُعاقِبُ حُروفي

وأحكمُ عليها بالإعدام

بتهمةِ الخيانة فقد

أمسكتُها بالجُرمِ المشهود

كلّ يومٍ تتسلّلُ ليلاً

لِتسرُقَ قلمي... وتخترِقُ أفكاري

لتبثَّ لك شَكواي

فالشاعرة هنا بطريقةٍ ذكيّةٍ تُريدُ أنْ تُباغِتْ القارئ واللائِم لها، بِأنّها ليستْ مسؤولة عندما تَكتبُ عنْ حُبِّها لأنَّها عِندما تكتبُ تكونُ مسلوبةُ الإرادة وإنَّ الشّوقَ هو الّذي يدفعُ بِقلمها وقِرطاسها ليلاً وهو ديدن الشُّعراء، لأنَّ اللّيل

يُهيِّجُ المشاعرَ ويُضاعِفُ الاشتياق ، إلّا إنَّ عِزّةَ نفسِها لم تسمحْ لها أنْ يعرِفَ أحدٌ بهذا الشّوق واللّهفة ، وهي تنتظرُ مِن الطّرفِ الآخرَ المبادرة والاعتراف بالحُب الذي من المفترض هو مَنْ يبادرُ ويعترفُ ،لذا فتقول له: (20)

من أجازَ لها الإفصاح...؟

أنْ تبثَّ مشاعِري...؟

وقد أخفيتُها عن خيالِك

كي لا تهزأَ بها

لأنَّ غرورَك

أكبرُ من اشتياقك

لأنّك ولدت

رجلًا شرقيّاً أنانيّاً

تحبُّ نفسَك...

وتهوى تعذيبَ مَنْ تُحِب

ما دامت هي في بيئةٍ ومجتمعٍ لا يسمحُ لها أنْ تُصرِّحَ بمشاعرِها فإنّها تقولُ أُخبئ ما أكتبُ، لأنّك أنتَ مَنْ يَجِبُ أنْ يُبادرَ، و لكنّ لك غُرورَ الرّجلِ العربي الشّرقي الّذي يعدُّ اعترافهِ بحبهِ للمرأة لا يليقُ به ، أو لأنّهُ يحبُّ أنْ يرى المرأةَ تتعذبُ مِنْ أجلِ حُبّهِ، حتى وإنْ كان في داخلهِ يريدُ العكس، فغريزةُ حُبِّ التّملّك عِندَ الرّجل تُزيدُ مِنْ أنانيتهِ ، من خلال الرّغبةِ بفرضِ السّيطرةِ إلى حدِّ تقييدِ حُرّيتها ،وتصلُ أحيانا إلى عدمِ الاكتراثِ لرغباتِ الطّرفِ الآخر، وهي رغم ما تراهُ فيهِ منْ غرورٍ وأنانيةٍ ، فهي عاشقةٌ له كما ولا تُطالبهُ بتغيير، فتعود لتقول له في قصيدةِ(كُنْ أنتَ) : (21)

كُنْ أنتَ

كائن* مَنْ تكون

لا يهمّني عنوانُك

واسمكَ كمْ نقطة

فيهِ أو سكون

كُنْ كما أنت

هلالًا تُولدُ معهُ براءتي

إنَّ من طبعِ العاشقِ عِندما يعشقُ لا يرى إلّا الجميلَ الحَسَن في محبوبهِ، فهي راضيةٌ به، ولا تطلبُ منهُ أنْ يُغيّرَ نفسه مِنْ أجلِها ، وهذا هو الأمرُ الطّبيعي لأنَّ الّذي يجذبُ شخصٍ لآخر هو أنّهُ وجدَ فيه ما يُكمِّلهُ ويناسبه فعبثاً أنْ يطلبَ أحدهُما مِن الآخر أنْ يُغيّرَ مِن نفسِه ،إلّا في الأُمور الّتي تُقوِّمُ الشّخص وتجعلُ منهُ شخصاً أفضل أُو تغيّر السّلوكيآت السّلبيّة فيهِ، لأنَّ((المشاعر هي الجانبُ الذّاتي من الانفعال حيثُ تُمثِّلُ الجانبَ الموجودَ داخل الخبراتِ الخاصّةِ بِكُلِّ مِنّا))(22)

فمسألةُ العواطفِ واحتياجُ الجنسينِ أحدهُما للآخر هذا أمرٌ طبيعي ولا جدالَ فيهِ ، وخِلافهُ يكون خللاً في أيِّ طرفٍ منهُما ، ولكن ما يثيرُ الرجل مِن المرأة في حُبِّهِ لها ، تشتركُ معها غريزةُ التّملُّك عِندَ الطّرفينِ إلّا إنَّ المرأةَ تكتفي بِكلماتِ حُبٍّ واهتمامٍ بأدقِّ تفاصيلِها ف((الوقوع بالحُبِّ شيءٌ عظيمٌ ولهُ شعورٌ غامرٌ...ولكن بمرورِ الأيّامِ نرى الرِّجال يتوقّعون مِن النّساءِ أنْ يفكّرنِ ويتصرّفنَ مِثلهم ، وكذلك بالنّسبةِ للنّساء ...فكِلا الجنسين يُفكِّرون بذلك الأُسلوب متناسين ذلك الاختِلاف الكبير بينهُما)).(23)

وللشّاعرة(شيماء العلي) نصٌّ قصيرٌ تصِفُ حبها تحت عنوان (صليب) فتقول : (24)

[الوافر]

صليبٌ أنتَ ..شُدَّ عليه عُمري

وهل يفديه عبدٌ أو إلهُ؟..

فما نالَ ارتقاءً في سماءٍ

ولا في الأرضِ أدرك مُبتغاه

صورةٌ جميلةٌ بِألفاظٍ مختزلةٍ وراقيةٍ تستطيعُ الشّاعرةُ أنْ تُعبِّرَ عن مشاعِرِها، فضلاً عن قُدرتِها اللُّغويّة والامكانيّةِ في استحضارِ التُّراثِ، فهي تصوِّرُ حُبَّهُ الّذي طوّقها ولا فرارَ منه ، فقد استحضرتْ قُصّةَ نبي الله

عيسى (عليه السلام) وصلبه، وربّما قصدتْ أنَّها لم تمُتْ وتصعد روحها إلى السماء، ولم تحظ بحبها وهو غايتها في الأرض ، وهذه الرّوحُ الشّفافةُ في تصوير عشقها عبر قصائدها قد برزت في معظمِ قصائدها .

وشاعِرةٌ أُخرى نجدُها مُنصهِرةً مع الحبيب حتى تبدو كأنّها هو فتقول في نصٍّ يحملُ عُنوان (أنا وأنت) : [25]

أنتَ كما أنا

نتشابهُ إلى الحدِّ الّذي يجعلُني أُميّزُ ملامحك جيّداً

مهما كُنتَ بعيداً، لأنَّ وجهك يتجلّى في روحي

وعِندما أقِفُ أمامَ المرآة

أغيبُ أنا

وتظهرُ أنت...

في هذا النّصِّ الشّاعِرةُ تَجِدُ نفسَها قد تشابهت مع الحبيبِ بِكُلِّ شيءٍ حتى في الملامح ،وهي لا تقوى على بُعدِهِ لِدرجةِ أنّها تنظرُ إلى نفسها في المرآة كي ترى ملامحه في وجهه، وحينٌ آخر تقولُ بأنّها لا تقوى على الصّبرِ، ففي هذه المجموعة الشّعريّة (فصول الجوزاء) إنَّ ((البوح لا ينتمي إلى فصيلةِ الكتمان ، وإنّما ينتمي إلى الرّؤى النّاصِعة التي تعتمدُ على الانغلاقِ ، بل هو بوحٌ منفتح بسببِ اعتمادها على السّرد النثري القريب من المُتلقّي)) [26]

فهذه الشّاعرةُ (أشواق الدعمي) تُصرِّح وتقولُ أنّها لا تعشقُ إلّا لِمرّةٍ واحدةٍ وذلك في قصيدتِها (إبحارٌ في التّصدي) تقول : [27]

أنا لا أُقهر

أمامَ الحُبِّ

علىٍ طريقٍ مسدود

وأنا لا تهزمني الكلمات

.....

.....

أعرِفُ أنّك تفوقني كثيرًا

في الكلمات

ولكني أعرفُ أيضاً

أنّك لن تستطيعَ أنْ تُملي

عليَّ الحُبِّ إملاءات

الشّاعرةُ تصفُ نفسَها بِأنّها قويّةٌ ولا تُهزَم ولو كان على حِسابِ قلبِها ، فالحُبُّ لا يهزمُها لو كان ذلك الحب فيه مسّاً لِكرامتِها وشخصيّتِها ، فهي لا ترضى بالذُّل ، ولو مِن المُحِب ، ولو ذهب هذا الحب فلنْ تُحِبَّ مرّةً أُخرى لتقول له :[28]

أنا إنْ احببتُ يوماً

أُحِبُّ لمرةً واحِدةً

وإنْ عشقتُ

أعشقُ لِمرّةً واحِدةً

وأنْ ضاعَ حُبِّي

مِنْ زحامِ الحياة

لا أبحثُ عن البدائلِ

فالرّجُل والمرأة يختلِفان ليس فقط من النّاحية الجُسمانيّة ، بل يختلِفان في مختلف الأبعاد منها الفِكريّة والرّوحيّة والإحساس وحتى في طريقة الحُب والاهتمام [29]

المحور الثّاني : عاطفتُها تجاه الأهل

إنَّ المرأة بفطرتِها تميلُ إلى العائلة بشكلٍ كبيرٍ أكثر من الرّجل والانتماء لها ، فالاستقرار عندها هو بوجوه أحبّتِها ، ولم نجد امرأة ترغبُ بالوحدة أو الانسلاخِ منها ، فيبدأ حبّها لأبويها وإخوتها ، ثم ما أنْ تصبحُ صاحبةَ عائلة تغدقُ من عاطفتها لأبنائها ، فكتبتْ شواعرُ كربلاء عن الأم و فهي المدرسة الاولى في الحياة لِأبنائها ، وقد كرّمها الله بأنْ جعل اللّه الجنّةَ تحت قدميها ، وهي أوّل وجه يتعرّف عليه الوليد بعد ولادته ، وقد تغنّى بها الشُّعراء أيضاً .

وكان لمبدعاتِ كربلاء وقفةً عند الأُم وكما أسمتها(هديل الدّليمي) ب(ربّةُ القلبِ) تقول فيها[30] [مجزوء الكامل]

دِفءٌ وساقيةٌ وظِلُّ

تُسدِي العطاءَ ولا تملّ

هي أوّلُ الأحبابِ ، في

حُزنِ ابتسامتِها أَحِلُّ

هي وحدها تلغي الجميعَ

فلا سِواها اليوم كُلُّ

هي بيتُ قلبي ، مُذ دنتْ

أشذاؤها والنّبضُ فلُّ

وطنُ الحنانِ فؤادُها

أرتادُهُ سكَناً فأعلو

مِنْ طينِ عِفّتها انبجستُ

هديلُها قولٌ وفِعلُ

الشّاعرةُ جعلتْ تَصِفُ هذه الأُم الّتي لا يزيدها الوصفُ إلاّ بهاءً ،فهي كما تقولُ (هي وحدُها تلغي الجميع)،وهي الوطن لِلأبناءِ ((وبالرّغمِ من تشابهِ رُدودِ الفعلِ في ظروفٍ ثقافيّةٍ مُختلِفةٍ ، فبعض العلاقاتِ العاطِفيّة بين الأُم والأبناء تكونُ عميقةً جِداً وأساسيةً جِداً بِحيث أنّها تتجاوزُ كُلَّ الاختلافات الاجتماعيّة الفرديّة))[2] هذا هو الحُبُّ الّي لا يتبدّلُ ولا ينقُصُ ولا ينتظِرُ مُقابلاً ممن يمنحه الحُبَّ ،وعاطفة الأمومةُ واحدة، ومثلها كتبتْ الشّاعرة (شيماء العلي) بِحُبِّ الأمِّ بقصيدة(طاسة ماي) تقول: [31]

أُمّي ..

وطاسة ماي.. تتبعان خطاي

ومنذ ذلك الباب..

والدّرب ما يزالُ مُبللاً

بال(متى)..

لم تجفّفه شمسُ ما..

وأنا.. بالأمسِ.. قصيدةٌ

تُعاني سكرات الشّعر..

ومساقط القلم..

قلمٌ.. ومعول..

يتبادلانِ الأدوارَ

معولٌ.. يكتبُ للشّجر

قصيدةُ الشّموخ..

وقلمٌ..

يحرثُ أرضَ الأكاذيبِ..

وينتظرُ السّقيا

من (طاسة أُمّي)..

هذا الموروث الّذي بدأتْ به الشّاعرة نصّها، وبنتْ فِكرتها عليه ، وقولها (طاسة ماي) ،هذا الّذي اعتدناه عندَ خُروج أحدِ أبنائها من البيت تسكبُ خلفهُ الماء لِمعتقد أنّهُ لا يصيبهُ مكروه ، ويعودُ إلى الدّارِ سالماً فهي ترى بِأنَّ حرارةَ الشّمسِ لم تُجفِّف ذلك البلل من الماءِ ، تستحضر الشّاعرةُ هذا الموقف مِنْ خِلالِ جلب الصّور والاستعاراتِ ، والاستخدام المجازي لكثيرٍ مِنْ الأمور التي يطرقها الشّعراء ، فالبنت مهما كبرتْ فهي تشعر بأنّها لازالت صغيرة وتحتاج إلى نصيحة أمّها وتجاربها في الحياة لتكون منهاجاً لها وتورثه لابنتها من بعدها فتقول الشّاعرة (شيماء العلي) بقصيدة (إلى أمي) تقول فيها : [32]

ما زلت أخطىء يا أمي..

ما زلت أخاف تجاعيد

النخيل..

ويهديء روعي

عنفوان السَّعف

.....

.....

الأطفال يا أمي يخطئون

كيف نقاضيهم

حين يكبرون

على جريرة الفطام ..

وانتِ تحاولين من أوجاع الخيبة

فالشاعرة تبدأ وكأنّها تريد أنْ تبيّن لأمّها بأنّها ما زالت تحتاجُ إلى نصيحتها ، وإنْ بلغ بها العمر حدُّ إدراك الأشياء ، وهذا يجعلها تشعر بالخوف أكثر ، خوف الفقد لمصدرِ أمانها من قولها(أخافُ تجاعيدَ النخيل) ، إذ شبّهت الأم بالنّخلة ، وجعلت لها تجاعيد وهي علامات الكِبر وتقدّم السّن ، وهي ماتزال بحاجة إلى النّصح من أمّها لتخبرها كيف واجهت هذه الأم أخطاء الأبناء ، وتحمّل بعدهم عنها لأنّهم كبروا وهذا ما يقلقها ، فتراهُ أمراً صعباً لتقول لها(وأنتَ تحاولين تمريضي من أوجاع الخيبة) ، وكأنّها تنصحها لتحمّل هذا الأمر وقو الفراق لأنّه سنّة الحياة ، ولكن هذا ما لا تطيقه الشّاعرة ، والشاعرة قبل أنْ تكون لها موهبة الشّعر ، فهي أم والأم

يمكنها أنْ تسطّر أبياتاً بحبّ أبنائها فتقول الشّاعرة (أمل الخفاجي) في قصيدة بحب ابنتها عنوانها (نور)تقول فيها : [33]

أهديك ورداً

أهديك عمراً

بكِ يحلو

لأنّك أهديتني

فرحاً يزهو

وأملاً تتجمّل به دنياي

حين سقطت شمسك

غارَ منها القمر

يا أجمل اسم نطقتْ به شفتاي

فحبّ الأم الشّاعرة عبّرتْ عنه بألفاظٍ بسيطةٍ ورقيقةٍ وكما قالتْ(أهديك ورداً ، أهديك عمراً) ،فهي بالنّسبةِ لها وجود ابنتها في حياتها هو الفرح والسعادة بعينها ، حتى جعلتها (شمساً) بقولها (حين سقطت شمسك) والقمر في السماء غار من حسنها فتقول (غار منكِ القمر) ، وتجاوزت ذلك عندما نعتت ابنتها ب(توأم روحي) إذ تقول : [34]

يا توأم روحي

بكِ تزهو الدّنيا بهاءً

يا ملاكاً تزدانُ بكِ الأيام

يا بريقاً.. يشعُّ من قلبي

فتغدو حياتي كالأحلام

أخذتْ الشّاعرةُ تصوّر ذلك الارتباط الرّوحي مع ابنتها ، وهذا أمرٌ طبيعي وفطرة من الله ،

لتجعل وجود ابنتها في حياتِها هو مصدر سعادتها بقولها(يا بريقاً يشعُّ من قلبي) ، حيث اصبح قلبها يبثُّ السعادة التي كانت تحلم بها ، وكما تغنت الشاعرة أمل الخفاجي لابنتها لم تنسَ الشّاعرة (إيمان كاظم) بقولها (ابني) بنصٍ قصير تصوّرُ به مشاعرها تجاهه ، الّذي طالما انتظرته فقتول : [35] (ابني)آخرُ العنقود

مدللي الّذي وُلِد من رحمِ انتظاري..

بعد مخاضٍ طويلٍ من التّوقِ والشّوق

احفظه لي يا رب ولا تريني فيه بؤساً يوجعني

فهذه العاطفة من الأم تجاه أبنائها هبة من الله ولا حُدودَ لها ، وهناك سرٌّ الهي بين الأم وولدها البكر مثلما مرّ في نص النّص السّابق ل(أمل الخفاجي) ، و(آخر العنقود) كما اسمته (إيمان كاظم) فهو كما ذكرت (مدللي) ، فتكون مكانته ومعزّته خاصة لا يمكن تفسيرها ، خاصة إذا كان مجيئه بعد فترةِ انقطاعٍ طويل ، فهذه المشاعر الرقيقة تجاه الأبناء كانت محط اهتمام شواعر كربلاء .

وعلى محبّة الأم وعلاقتها بأهلها استطاعت الشاعرة أن تستقي ذلك الحبّ من أمّها التي كانت تفيضُ حناناً وحبّاً تجاه أهلها ، فمثلُ ما كان سفر الأخ ترك أثراً على الأم فإنّه ترك الأثر نفسه عند الشّاعرة (شيماء العلي) عندما كتبت إلى خالها قصيدةً عنوانها(إلى خالي المسافر) تقول فيها : [36] [الكامل]

عدْ.. حيثُ كنّا.. ها هُنا

نتلاقفُ الضّحكاتِ من كبد الفنى..

ونتيه إذ بوحُ القصائد نزفنا..

ونظنُّ موهومين أنْ لا شيءَ

يدفنُ حلمنا

عدْ يا ندى الكلمات

يا وجهاً يرافقُ ظلّنا

عدْ أيّها الكفُّ الحنون

لدمعنا

يا كنت.. يا رغم المنافي

والمسافات البعيدة

موطناً

إنّ هذا الترابط الاجتماعي وحبّ الأهل والعائلة قد اكتسبته الشّاعرة من الأم ،عندما لمست عمق العاطفة بين أمّها وخالها وما تركه سفره من فراغ عانته الشّاعرة قبل الأم لأنّها كما وصفت بأنّه كان قريباً لهم فهي تتحدّث بضمير الجماعة(كنا ، نتلاقف ، نتيه ، نظن) ، إذ تصف عمق تلك العلاقة ومرافقته لهم في أفراحهم وأحزانهم ، وتبقى تتوسله لأنّ الفراق قد أتعبهم فهم مشتركون بذلك الشّعور ، وهذا دليل قوّة الرابطة الأسريّة بينهم .

من هذا يتبيّن لنا أنَّ الحُبَّ والتّعبير عنهُ لدى شواعر كربلاء كان محفوفاً بِالعفّة ، وإنَّ الواحدة مِنهن تبرزُ عِزّةَ نفسِها وإبائها بعدم التّذلُّل للطرف الآخر ، علاوةً على استخدامِ الألفاظ الّتي لا تخدشُ الحياءَ بِحُكمِ الالتزامِ والاعتراف بقدسيّة المحافظة وطبيعة المكان الّذي نشأت فيهِ .

الخاتمة :

لقد تناول هذا البحث نصوصاً شعريّة جادت بها شواعر كربلاء ، فقد عبّرن بها عن عواطفهن ، وخلال اطّلاعنا على نتاجهن سعينا لإبراز الصّور الجماليّة لذلك الشّعر في ضوء ما جاد تْ به قرائحهن من نصوصْ تميّزت بالرّقة والعفّة معاً ، وتوصّل البحث إلى عددٍ من النتائج أجملناها

بالنّقاط التالية :

1- خلال الدّراسة وجدنا أنَّ شعر الحب لدى شواعر كربلاء امتاز بالألفاظ السّهلة والرّقيقة التي تعكس صورة المرأة بصورة عامّة ، وشاعرة كربلاء بصورة خاصّة .

2- إنَّ معظم شواعر كربلاء كتبنَ في قصيدة النثر ، لأنّها لا تحتاج من مقترضيها معرفة لبحور الشّعر ، وأيضاً تكون أكثرُ طوعاً لرسم صورهن الرّمزيّة .

3- وجدنا عدداً من شواعر كربلاء كتبن الشّعر على وفق البحور الخليليّة ، واخترن البحور ذات التفعيلات الطويلة في نظم قصائد الحب .

4- من حيث اللّغة الشّعريّة وجدنا أنَّ شواعر كربلاء يكثرنَ من استخدام الانزياحات الدّلاليّة ك(التّشبيه والاستعارة) ، والانزياحات التّركيبيّة مثل(التقديم والتأخير ، والتّكرار ، والحذف) وغيرها .

5- أمّا من ناحية الأساليب وجدنا الإكثار من استخدام الأساليب المجازيّة مثل (الأمر ، والنداء ، والاستفهام ،والأمر..)وغيرها .

6- غلبة طابع الحزن لدى شواعر كربلاء ، والخوف من الإفصاح بحبّها بسبب قيود المجتمع .

7- تميّزت معظم النّصوص بالقصر والإيجاز في طرحِ الموضوع .

8- -استطاعت شواعر كربلاء أن تترك مجلاً في شعرها لحبِّ العائلة والأهل امتازت تلك النّصوص بالعاطفة الصّادقة والألفاظ الرّقيقة الّتي تخرج من القلب .

الهوامش :

القرآن الكريم .

1- أعلام النّساء في كربلاء ،سلمان هادي آل طعمه : 5 .
2- المعجم الأدبي ، جبّور عبد النّور : 7 .
3- تاريخ النّقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، طه أحمد ابراهيم :137 .
4- جماليات المكان ، غاستون باشلار : 36 .
5- مرايا وزجاج ، سليمة سلطان : 56-57 .
6- المصدر نفسه : 57 .
7- المصدر نفسه : 72 .
8- المصدر نفسه : 79 .
9- المصدر نفسه : 80 .
10- نهايات الدّوائر ، سليمة سلطان : 28.
11- عن الحبِّ والغربة وأشياء أخرى ، خديجة السّعدي : 26 .
12- المصدر نفسه : 35 .
13- المصدر نفسه : 47 .
14- المرأة والحب ، آنا دانيال : 111 .

15- سيكولوجية الجنس ، يوسف مراد : 49 .
16- ديوان هديل الدّليمي : منتديات نبع العواطف .
17- المصدر نفسه .
18- المصدر نفسه .
19- ليس هناك سواه ما أسميه البنفسج ، أمل الخفاجي : 48 .
20- المصدر نفسه : 49 .
21- المصدر نفسه : 59 .
22- علم النّفس في حياتنا اليومية ، كينيت : 33 .
23- سيكولوجية الرّجل والمرأة ، طارق كمال النّعيمي : 28 .
24- شيء.. وينطق الماء ، شيماء العلي : 65 .
25- فصول الجوزاء ، إيمان كاظم : 32 .
26- صدى الرّوضتين ، علي الخباز : 17 .
27- على قيد البقاء ، أشواق الدّعمي : 52 .
28- المصدر نفسه : 53 .
29- شخصيّة المرأة ، محمد تقي سبحاني : 236 .
30- ديوان هديل الدّليمي : منتديات نبع العواطف الأدبيّة .
31- شيء.. وينطق الماء : 77 .
32- المصدر نفسه : 37 .
33- ليس هناك ما أسميه البنفسج : 26 .
34- المصدر نفسه : 27 .
35- فصول الجوزاء : 93 .
36- شيء.. وينطق الماء : 64 .

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. أعلام النساء في كربلاء : سلمان هادي آل طعمه ، كيوان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 2005م .
2. تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه أحمد ابراهيم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، (د.ط) 2004م .
3. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الخضراء، بيروت، لبنان ط2، 1984م . .
4. سايكولوجية الجنس : يوسف مراد ، مؤسسة الهنداوي ، 2017م .
5. سايكولوجية الرجل والمرأة : الدكتور طارق كمال النعيمي ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط1 ، 2000م ،.
6. شيء.. وينطق الماء : شيماء العلي ، منشورات أحمد المالكي ، ط1 ، 2020 ، 65 .
7. علم النفس في حياتنا اليومية : كينيت –ت-سترونجمان ، ترجمة معتز سيد عبد اللهو، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015م .

8. على قيد البقاء : أشواق الدعمي ، دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2022.
9. عن الحب والغربة وأشياء أخرى : خديجة السعدي ، الروسم للنشر التوزيع ، ط1 ، 2014م .
10. فصول الجوزاء : إيمان كاظم ، آشور بانيبال للكتاب ، بغداد ، ط1 ، 2019 ، 32 .
11. ليس هناك سواه ما أسميه البنفسج : أمل الخفاجي ، مطبعة السيماء ، العراق ، بغداد ، ط1 ، 2017م . .
12. ليس هناك سواه ما أسميه البنفسج : أمل الخفاجي ، مطبعة السيماء ، بغداد ، ط1 ، 2017م.
13. المرأة والحب : آنا دانيال ، ترجمة دكتور كلير فهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 2011 .
14. مرايا وزجاج : سليمة سلطان نور ، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق ،ط1 ، 2010 م .
15. المعجم الادبي ، جَبّور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت ط1 ، 1979م: .
16. نهايات الدوائر : سليمة سلطان نور ، دار أكد للترجمة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2014 م .
17. ينظر : شخصية المرأة دراسة النموذج الحضاري الإسلامي ، محمد تقي سبحاني ، تعريب ، علي بيضون وشاكر كسراني ، مكتبة مؤمن قريش ، بيروت ، ط1 ، 2009.

المواقع الالكترونية

1. صدى الروضتين : مجلة وثائقية أدبية ، بقلم علي الخباز ، العدد 369 ، 2019م . https:// sadda.alkafeel.net
2. ديوان هديل الدليمي : قصيدة منشورة بمنتديات نبع العواطف الأدبية -https: //www.nabee awatf.com/vb/index.php